

رجل مرّ من هنا يختلف عن غيره من المفكرين بمنهجه العلمي الدقيق وآرائه المتجدّرة في العقلانية والسمو، اعتبره البعض سابقاً لزمانه، هو المفكر مالك بن نبي الذي جاء في فترة سادت فيها الكثير من الصراعات، فترة أقلّ ما يقال عنها بأنّها حقبة " التكالب الاستعماري" حقبة خيّمّت تداعياتها وانعكاساتها على الحالة العامة فمحيط الأمة كان محصوراً في صراعات واتجاهات فكرية مختلفة عاصرها مالك بن نبي و أوضحها كتاباته، ولعلّ الباحث المتتبّع للأحداث في ذلك الوقت والآن يطرح سؤال النهوض الحضاري، سؤال الفاعلية، سؤال النهضة سؤال من هو مالك بن نبي؟ .

### المبحث الأول : حياته

#### أولاً : المولد

ولد مالك بن الحاج بن عمر بن لخضر بن نبي بقسنطينة<sup>1</sup> في 5 ذي الحجة 1323 هـ الموافق لـ الفاتح من جانفي عام 1905م، في أسرة محافظة وفقيرة ويعتبر مالك بن نبي نفسه من أولئك الذين سمحت لهم الأقدار أن يولدوا في زمان يعتبر صلة وصل بين ماض عريق انطفأ نجمه ، ومستقبل لا يزال في بداية ظهوره<sup>2</sup>. وهو بذلك الصدد يقول: " إن من ولد في الجزائر سنة 1905م يكون قد أتى في فترة يتصل فيها وعيه بالماضي الممثل في أواخر شهوده ، وبالمستقبل المتمثل في أوائل صائغيه ، وعلى هذا فقد كانت لي حين ولدت في تلك السنة الحظ الممتاز الذي يتيح لي أن أقوم بدور الشاهد على تلك الحقبة من الزمان"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ولد مالك بن نبي بقسنطينة وليس بتبسة كما ذهب اليه بعض الدارسون ، فهو يذكر في كتابه مذكرة شاهد القرن يقول تلك المرأة التي كفلتني في طفولتي بقسنطينة ومازالت تزورنا من حين الى آخر في تبسة مما كان يبعث دوما في نفسي الشوق والحنين الى الأرض التي ولدت فيها أي قسنطينة ، للمزيد ينظر الى مالك بن نبي : مذكرات شاهد القرن، إشراف ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر دمشق ، سوريا ، ط 2 ، 1984، ص26، للمزيد ينظر الى صورة مالك بن نبي الملحق رقم 01.

<sup>2</sup> ميلود زكي ، موسى إسماعيل ، الأبعاد الحضارية والفنية للنظرية الاقتصادية في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ( د ط )، 2010، ص 18.

<sup>3</sup> مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط2، 1984، ص 15 .

وقد كان الحدث الأول الذي شكّل أثرا بالغا على مالك بن نبي هو هجرة جده لأبيه إلى طرابلس الغرب لرفضه مساكنة الاستعمار، حيث باع ما يملك ليترك والده دون سند مادي ليضطر هذا الأخير إلى أن يسافر إلى تبسة بالقرب من أهل زوجته ويبقى مالك بن نبي مع عمه الأكبر في قسنطينة، إلى أن توفي عمه هذا حيث أعادته زوجة عمه إلى أهله في تبسة بضغط الحاجة والفقر والعوز، فوجد مالك بن نبي نفسه من جديد رفقة والديه بتبسة في فقر شديد سرعان ما زال مع تولي والده منصب خوجة في الإدارة المحلية بتبسة<sup>1</sup>.

### ثانيا : مساره الدراسي:

درس مالك بن نبي بالكتاب ثم المدرسة الابتدائية الفرنسية والتي نجح فيها بتفوق لينتقل إلى قسنطينة لمتابعة دروسه في التكميلية، وذلك نظرا للتوجيه الذي أرادتته عائلته حتى يكون "عدلا" للشرع الإسلامي في إحدى المحاكم<sup>2</sup>.

ويذكر المؤرخ " أبو القاسم سعد الله" أنّ والد مالك بن نبي كان موظفا في البلدية المختلطة في تبسة وكان صديقا للحاكم الفرنسي (متصرف إداري)، من أجل ذلك حصل مالك بن نبي على مقعد في مدرسة قسنطينة الرسمية .

كان بن نبي شديد الذكاء، قويّ الملاحظة، كثير الطموح، بدأ دراسته في قسنطينة سنة 1921م وهو في سنّ الخامس عشر، وكانت قسنطينة آنذاك تعرف نشاطا كبيرا حيث ظهرت فيها جريدة النجاح وحركة ابن باديس التعليمية وكانت تصلها جرائد تونس بالعربية، وأصبحت مقاهيها تضحج بالحديث عن السياسة والغزو والزعامات وحركة الامير خالد .

قضى مالك بن نبي أربع سنوات (من 1921م إلى 1925م ) في مدرسة قسنطينة، التي كانت تحت إدارة "دورون" ذلك المستشرق الفرنسي الخبير بشؤون الأهالي وكان يقوم بالتدريس أيضا، وكان يفتش دروس جميع المدرسين المسلمين في المساجد في ولاية قسنطينة، ويقدم بشأنهم التقارير لإدارة التعليم في الجزائر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> يوسف بوراس ، الاتجاه السياسي لفكر مالك بن نبي ، مذكرة ماجستير في الفلسفة المعاصرة، إشراف: طيبي مسعود المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2011- 2010، ص 5 .

<sup>2</sup> ميلود زكي، موسى إسماعيل، مرجع سابق ، ص 19 .

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1954م.1830م)، ج 7، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2 2007 م، ص ص 214 - 213.

ويقول عنه بن نبي انه كان استعماريا حقودا وانه يفضل الطلبة الخاملين (الأهالي) ومن شيوخ المدرسة كان الشيخ بن الموهوب<sup>1</sup> الذي أثر في بن نبي واعترف بفضلته وكان بن الموهوب في هذه المرحلة من المصلحين<sup>2</sup>.

بالإضافة إلى الشيخ عبد المجيد في النحو والذي ترك أثرا في نفسه وفكره، بما كان يتميز به من نظريات نقدية للواقع الجزائري، إذ كان ينتقد الطرقيين، ويهاجم السلطات الاستعمارية في البلاد وبفضل تلك الدروس أصبح بن نبي قادرا على تذوق الشعر الجاهلي والأموي والعباسي فقد قرأ للشعراء أمثال امرؤ القيس والفرزدق وأبي نواس والأخطل، وانجذب الى الأدب الحديث وكتابات جبران خليل جبران، وإيليا أبي ماضي، وحافظ ابراهيم والمنفلوطي وغيرهم، وكان بن نبي أكثر ميلا الى القراءة باللغة الفرنسية بفعل توجيهات أساتذته الفرنسيين وخاصة " يوبريتي " مما فتح عقله نحو المنهجية الغربية، فقد قرأ مالك بن نبي لكبار الكتاب الفرنسيين من أمثال : (لوتي، فارين، ولامارتي، شاتوبيريان)، أثرت هذه الكتب الفرنسية في تكوينه الفكري<sup>3</sup>.

كذلك طالع "بن نبي" كتب : رسالة التوحيد للإمام محمد عبده<sup>4</sup> (1849م - 1905م) وكتاب " الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق " للكاتب التركي أحمد رضا، وكتاب "أم القرى" للمصلح عبد الرحمان الكواكبي(1849 - 1902م)، وقرأ في التاريخ الإسلامي: "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمؤرخ المسعودي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مولود بن الموهوب : هو مولود بن محمد العيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود الموهوب، ولد عام 1866م، وتوفي عام 1930م ، أديب وهو من رجال الإصلاح الاجتماعي في الجزائر ولد بقسنطينة ، وولي بها إفتاء الملكية والتدريس في الجامع الكبير 1895م ، من كتبه " مختصر الكافي في العروض ، ونظم الاجرومية، وشرح منظومة التوحيد للمجاوي للمزيد ينظر الى: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط7، 1984م، ص 333.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 214.

<sup>3</sup> فوزية بريون، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، (د . ف) دمشق - سوريا، ط1، 2010 ص ص 108-107 .

<sup>4</sup> محمد عبده : هو محمد بن حسين خير الله عبده، ولد عام 1266هـ الموافق ل: 1849 م ، في قرية محلة نصر من مديرية البحيرة حفظ القرآن وهو صغير، وتعلم في الأزهر حيث نال شهادة العالمية من الأزهر عام 1294هـ . الموافق 1877م من مؤلفاته رسالة التوحيد، تفسير المنار، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية. للمزيد ينظر الى : عبد الوهاب الكيالي الموسوعة السياسية ، ج 6 ، تح : مساجد نعمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت - لبنان ، ط2 ، 1990 ، ص ص 91-92.

<sup>5</sup> مولود عويمر، مالك بن نبي رجل الحضارة ، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2007، ص 12.

كما قرأ كتاب "المقدمة" للعلامة عبد الرحمان بن خلدون (1323 - 1406م)، من جهة أخرى اعترف مالك بن نبي بفضل صديقه حمودة بن الساعي الذي له فضل في توجيهه، فيقول عنه أنه من وجهه نحو الفلسفة.

وتأثر مالك بن نبي بالحياة الاجتماعية والثقافية السائدة في تبسة و قسنطينة، وكان متابعا شغوقا لما يجري من صراعات سياسية، فقد كان يتابع انتصارات ثورة عبد الكريم الخطابي (1882 - 1963م) وحرب الريف وكتب منشورا يندد فيه بالتحالف الاستعماري الذي جرى بين فرنسا واسبانيا ضد ثورة عبد الكريم الخطابي، وقام بإصاقه على جدران المساجد<sup>1</sup>.

### ثالثا : رحلة الحصول على عمل

في سبيل الحصول على عمل كان بن نبي ينسخ عناوين الشركات والمؤسسات من الدليل التجاري لبريد تبسة ويرسلها نحو شمال فرنسا وجنوبها لكن دون جدوى، بعد ذلك حاول الحصول على وظيفة عدل في محكمة تبسة، فقدم طلبا للنيابة العامة التي ترتبط بها المؤسسات القضائية الإسلامية في الجزائر، إلا أنّ الرد كان بالرفض، لأن الإدارة اشترطت على أن يكون السن المؤهل للوظيفة لا يقل عن اثنتي وعشرين سنة، فيما كان سن مالك بن نبي عشرون عاما، ومع ذلك ظل يرسل النيابة العامة دون كلل ولا ملل.

وكان الرد دائما بالرفض القاطع، في تلك الفترة أعفَى مالك بن نبي من أداء الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، وبعد ذلك عرض بن نبي خدماته المجانية على محكمة تبسة بفضل صديق له يعمل بها، قبلت هذه المحكمة عرضه لأنها رأت فيه مكسبا للمحكمة، فيما كان يرى بن نبي في هذا العمل خلاصا من الفراغ الذي يعيش فيه، ومع ذلك كان يواصل مراسلة النيابة العامة الى أن وافقت على حصوله على وظيفة عدل في ثلاث محاكم على أن يختار إحداها<sup>2</sup>.

اختار مالك العمل في محكمة "أفلو" وعمل فيها فترة من الزمن تعرف فيها على الحياة الاجتماعية لأفلو وضواحيها، ثم انتقل الى مدينة "شلغوم العيد" للعمل بمحكمة، إلا أنّ خلافا نشب بينه وبين الكاتب العام للمحكمة حال بينه وبين البقاء هناك، انتهى بتقديم مالك بن نبي لاستقالته منها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مولود عويمر، المرجع السابق، ص 12-13.

<sup>2</sup> عبد الله العويبي، مالك بن نبي حياته وفكره، المؤسسة العربية للأبحاث والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 2012، ص80.

<sup>3</sup> نفسه، ص81.

## المبحث الثاني: نشاط مالك بن نبي

## أولاً : نشاط مالك بن نبي في فرنسا

بحلول الأزمة الاقتصادية العالمية 1929م لم يجد مالك بن نبي بدا من السفر الى باريس ثانية سعياً منه لمواصلة دراسته وذلك بعد زيارته الأولى عام 1925م، فسجل نفسه في معهد الدراسات الشرقية، وتعرف هناك على تنظيم "الوحدة المسيحية للطلاب الباريسيين وأصبح عضواً فعالاً فيها، إلا أنه ترك معهد الدراسات الشرقية لينتقل الى مدرسة اللاسلكي فرع الهندسة الكهربائية<sup>1</sup>.

وفي إحدى المكتبات (مكتبة سانت جنفيين) جمعه القدر بفتاة فرنسية، تدعى "بوليت فيليبون paulette philipon" أسلمت وتزوج بها، وتسمت باسم "خديجة" زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان مالك كثير النشاط والحركة وهو ما جلب له مراقبة مصالح الأمن الفرنسية خاصة بعدم مشاركته في نشاط "نجم شمال افريقيا" وجمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا هذه الأخيرة التي انتخبته نائباً للرئيس، وجمعية الوحدة العربية السرية التي أسسها "فريد زين الدين" أحد المقربين من شكيب أرسلان (1869-1946م) كما نشط مالك بن نبي في فرنسا وألقى عدة محاضرات منها: "ماذا نحن مسلمون؟" والتي أذاعت شهرته في الوسط الثقافي الطلابي، كما كتب عدة منشورات ضد الممارسات الاستعمارية في الدول الإسلامية<sup>2</sup>.

في عام 1935م تخرج مالك بن نبي مهندساً في الكهرباء، ليعود الى الجزائر بنية خدمة أبناء وطنه فعمل على تأسيس معهد بقسنطينة لتحضير الطلبة الذين يرغبون في الدخول الى كليات الهندسة في فرنسا، لكنه لم يجد أي تجاوب من السلطة الفرنسية فقضى عاماً في مدينة تبسة بجوار الشيخ العربي التبسي (1891-1957م) يساعده في نشاطات نادي الشبيبة الجزائرية وفي سنة 1938م أسس بعض العمال الجزائريين بمدينة مرسيليا "نادي المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة"، واستدعي مالك بن نبي للإشراف عليه، يعلم العمال الأميين الجزائريين عشية كل سبت<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر (د . ط )، 2005، ص ص 21-22.

<sup>2</sup> ينظر الى الملحق رقم: 08.

<sup>3</sup> مولود عويمر، مرجع سابق، ص 16.

وقد قدر مالك بن نبي عدد الجزائريين الذين يعيشون في فرنسا بسبعمائة ألف (700000) موزعين على ثلاث مناطق مهمة : (مرسيليا، ليون ، باريس)، هذه الطبقة من المجتمع تتكون من أطفال نساء ورجال ومن هنا تطرح مشكل الدراسة والتأطير الثقافي<sup>1</sup>.  
كان مالك بن نبي يلقي محاضرات عامة للجمهور مساء يوم الأحد، لكن السلطات الفرنسية أوقفت نشاط مالك بن نبي بحجة تحول النادي الى مركز سياسي لا يقتصر على التربية والتعليم، وإنما يتعدى الى المطالبة بحقوق العمال الجزائريين والمشاركة في التظاهرات الاحتجاجية حول مشاكل العمال المغتربين ومساندتهم لبعض القضايا الإسلامية الحساسة كالقضية الفلسطينية، بعد هذه الأحداث رجع بن نبي الى الجزائر لكن الأوضاع المزرية السائدة فيها أرغمته من جديد على الهجرة من جديد الى فرنسا ثم نحو مصر<sup>2</sup>.

### ثانيا : نشاط مالك بن نبي في مصر<sup>3</sup>

بعد محاولات عديدة لمالك بن نبي من أجل السفر نحو مصر الى سنحت له الفرصة أخيرا في هذه المرة لم ترافقه زوجه "خديجة" بسبب مرض ألمّ بها (روماتيزم الأطراف) ، وقد حافظ بن نبي على علاقته بها فكان على اتصال دائم بها خاصة بعد تقلده لوظيفة في مصر<sup>4</sup>.  
كان لقدم مالك بن نبي الى القاهرة سنة 1956م هدفان اثنان : الأول نشر كتابه "الإفريقية الآسيوية"، أمّا الهدف الثاني فكان الاتصال بقيادة جبهة التحرير بالقاهرة لعرض خدماته على الثورة التحريرية<sup>5</sup>، تحقق لمالك بن نبي الهدف الأول بعد قيام الحكومة المصرية بطبع هذا الكتاب على نفقتها<sup>6</sup>.  
أمّا الهدف الثاني فلم يتحقق حيث ذكر مالك بن نبي أنّ مسؤولي الثورة ليسوا بحاجة الى تطوعي وربما أنّ مؤهلات بن نبي ليست كافية<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> Malek Ben nabi : articles de presse .(1964. 1968) El borhane , Hydra; S.E,2010, p 93.

<sup>2</sup> مولود عويمر، المرجع السابق، ص ص17- 16.

<sup>3</sup> ينظر الى الملحق رقم : 03.

<sup>4</sup> فوزية بريون، مرجع سابق، ص 116 .

<sup>5</sup> مالك بن نبي، شهادات حول ثورة التحرير، تق: الصادق سلام ،عالم الأفكار، المحمدية، الجزائر، ( د ط )، 2010، ص7.

<sup>6</sup> محمد العبدية ، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي ، دار القلم، دمشق - سوريا، ط1، 2006، ص 41.

<sup>7</sup> مالك بن نبي، في مهب المعركة ، ص 81.

ربما لم يتلقَ مالك بن نبي ردا ايجابيا من قيادة الثورة لأنه كان على مستوى الممارسة السياسية معارضا لإنشاء أحزاب سياسية في الجزائر - التي سوف نتطرق لها في الفصل الثاني من هذا البحث أو لأنه لم يكن منضويا تحت لواء أي حزب سياسي، ولا حتى جمعية كجمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>1</sup>.

بعد ذلك عمل مالك بن نبي على الاتصال بالمفكرين والعلماء والسياسيين المصريين وغيرهم من العرب المقيمين في مصر، حيث شارك في مختلف النشاطات التي تزخر بها الحياة السياسية في مصر، وكان حريصا على حضور الندوة الأسبوعية التي كانت تعقد في دار العالم "محمود شاكر"، (1909-1997) م "والتي تجمع نخبة من المفكرين والسياسيين، كما دأب على عقد ندوات في بيته صبيحة كل يوم جمعة ، يحضرها الطلاب باختلاف جنسياتهم الإسلامية من طنجة الى جاكرتا<sup>2</sup>.

كما قام في هذه الفترة بترجمة ونشر عدد من مؤلفاته التي لقيت ترحيبا هناك لدى الشباب المثقف في مصر وسائر الأقطار العربية والإسلامية<sup>3</sup>، وفي مصر أيضا شغل منصب مستشار في " المؤتمر الإسلامي " الذي سمي فيما بعد "مجمع البحوث الإسلامية"<sup>4</sup>. وفي مصر تزوج مالك بن نبي من امرأة جزائرية، أنجبت له ثلاث بنات هن: ( رحمة ونعمة و إيمان)، ولكنه حافظ على ارتباطه بزوجته الأولى خديجة يرأسها باستمرار ويرعاها<sup>5</sup>.

### ثالثا : علاقة مالك بن نبي بحركة الإخوان المسلمين في مصر:

كان بن نبي قبل وصوله إلى مصر معجبا بشخصية الإمام " حسن البنا"، وقد خصص له صفحات مشرقة في كتابه " وجهة العالم الإسلامي " خاصة في طبعته الفرنسية التي لم تتعرض للمراقبة و الحذف، و كذلك مقالة في جريدة " الشاب المسلم " و جريدة " الجمهورية الجزائرية " <sup>6</sup>.

<sup>1</sup> فوزية بريون ، المرجع السابق ، ص 127.

<sup>2</sup> مولود عويمر، مرجع سابق ، ص 21 .

<sup>3</sup> أحمد قاسم بالحاج ، نظرية الحضارة عند المفكر مالك بن نبي ، دار التبئين، الجاحظية - مصر، ( د ط )، 1998، ص12.

<sup>4</sup> فوزية بريون، المرجع سابق، ص128.

<sup>5</sup> محمد العبدية، مرجع سابق، ص42.

<sup>6</sup> مولود عويمر، المرجع السابق، ص ص 22.23.

فحسن البنا<sup>1</sup> في نظر "بن نبي" مصلح و عالم مجدد للإسلام يؤثر تأثيراً عميقاً في سامعيه، ويرجع "بن نبي" هذا التأثير إلى أن حسن البنا لم يكن يفسر القرآن على طريقة الأولين، بل كان يحييه في الضمائر فيزلزل كيانها وكان "حسن البنا يرفض قيام الأحزاب السياسية في مصر، ومثله نجد أن "بن نبي" لم يؤسس حزبا سياسيا ولكن طريقته في التفكير و في تصور البرنامج الذي يجب أن تسير عليه السياسة الإسلامية ربما تفسر لنا إعجابه بحركة الأستاذ البنا في بداية صعودها الكبير، هذا الصعود الذي يعتبره ابن نبي ناتجا عن كون هذه الحركة غير حزبية.<sup>2</sup>

فموقف "البنا" من الأحزاب المصرية كان في غاية السلبية كما هو معلوم فكتب في إحدى المرات يقول : " الأحزاب المصرية هي سيئة هذا الوطن الكبرى، وهي أساس الفساد الاجتماعي" ، بل طالب "البنا" بحلها جميعا، فكان يرى مالك بن نبي في حركة الإخوان المسلمين مصدر التفاضل في مستقبل الإسلام لأنها اهتمت بجميع ميادين الحياة فلم تكن دينية بحتة بل تعدى نشاطها إلى الخدمات الاجتماعية و النشاطات الثقافية و الاستثمارات الاقتصادية<sup>3</sup>.

فعند سفره مالك بن نبي إلى مصر تزامن وصوله مع شنّ الحكومة المصرية لحملة من الاعتقالات ضد جماعة الإخوان المسلمين ، كما قامت بحلّ هذه الجماعة ، لم يبدي مالك بن نبي رأيا في الأحداث التي حلت بجماعة الإخوان المسلمين، ربما لأنه صعب على مفكر طالب للجوء السياسي في بلد كمصر أن يصف حكومتها بالمستبدة ضدّ هذه الحركة، أو ربما أن احتكاكه ببعض قادة الإخوان جعله يشعر أنّ هؤلاء خرجوا عن الوظيفة الإصلاحية بتدخلهم في أمور السلطة والسياسة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حسن البنا: ولد في المحمودية بمصر 1906 م ، واستشهد عام 1949م نشأ في بيت علم، وكان والده عالماً في الحديث وعمل مدرساً في إحدى مدارس الإسماعيلية الابتدائية ، ومن آثاره مذكرات الدعوة والداعية، أحاديث الجمعة ، مجموعة الرسائل، ينظر : عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية ، ج5، مرجع سابق، ص 532.

<sup>2</sup> مولود عويمر ، المرجع السابق، ص 23.

<sup>3</sup> نفسه، ص 23.

<sup>4</sup> نفسه، ص 25.

### رابعاً : زيارته لبعض البلدان

زار مالك بن نبي مختلف البلدان العربية نذكر منها : سوريا التي زارها عام 1958م ومكث فيها ثلاثة أشهر حظي خلالها بالاحترام والتقدير، وألقى بها عدة محاضرات جمع بعضها في كتابه : " مجالس دمشق " والبعض الآخر في كتاب " تأملات "، كما زار لبنان وأقام فيها شهراً ألقى خلاله عدة محاضرات و أيضاً زار السعودية عدة مرات أربع منها للحج وواحدة بدعوة من الملك سعود، فألقى مجموعة من المحاضرات في كل من جامعة الملك سعود وكلية الشريعة بالرياض ومعهد الإدارة العامة<sup>1</sup>.

كما زار تونس أيام دراسته في فرنسا و كذلك أيام توليه إدارة التعليم العالي في الجزائر المستقلة، وأيضاً زار ليبيا عدة مرات لإلقاء المحاضرات، حيث كانت الدعوات تصله من طرف تلامذته وكثيراً ما كان يحاضر في جامعة ليبيا، وقد وقفت ليبيا موقفاً مشرفاً تجاهه ولاسيما في مرضه، حيث عرضت عليه استعدادها بالتكفل بعلاجه في أي مكان يرغب فيه، ومنها السفر إلى أمريكا لتلقي العلاج، وكان السفير الليبي يزوره باستمرار في المستشفى الفرنسي بباريس ، كما سافر ابن نبي نحو بلدان إسلامية أخرى مثل الكويت و أندونيسيا، ودول أجنبية مثل الصين والاتحاد السوفيتي وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية<sup>2</sup>.

وبالنسبة للمناصب التي شغلها في الجزائر نذكر توليه منصب مستشار التعليم العالي بعد عودته للجزائر عام 1963 ثم تعيينه مديراً لجامعة الجزائر، ثم مديراً للتعليم العالي ليستقيل في الأخير من منصبه ويتفرغ للعمل الفكري وتنظيم الندوات والمحاضرات في جميع أنحاء الجزائر، خاصة في جامعاتها و المعاهد العليا وفي ملتقيات الفكر الإسلامي التي أسهم بقسط وافر في تأسيسها وبقي يناضل بفكره إلى أن وافته المنية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الله العويبي، مرجع سابق ، ص 129 .

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 130 - 131.

<sup>3</sup> ميلود زنكي، موسى إسماعيل، مرجع سابق ، ص 21.

### المبحث الثالث : مالك بن نبي وفاته وأثاره

#### أولاً : وفاة مالك بن نبي :

عانى مالك بن نبي في أواخر حياته إرهاقا كبيرا وآلاما في عينيه ورأسه ، بعد سقوطه من الدرج أثناء خروجه من البيت الواقع في شارع " روزفيليت " بالجزائر العاصمة ، ورغم علاجه في الخارج بقي متأثرا بهذه الحادثة إلى أن توفي في 31 أكتوبر 1973م بالجزائر، ليترك كثيرا من الكتب المطبوعة والمخطوطة، والتي طبع جزء هام منها في العديد من البلدان العربية الجزائر وسوريا ولبنان ومصر، كتب معظمها باللغة الفرنسية وقليل منها باللغة العربية منها ما صدر في حياته ومنها ما نشر بعد وفاته<sup>1</sup>.

#### ثانياً : إنتاجه الفكري

تحلى مالك بن نبي بمنهج فكري مميز، استطاع بواسطته أن يضع يده على أهم قضايا العالم المتخلف، هذه القضايا ( المشكلات ) اهتم بها منذ شبابه ودرسها تحت عنوان : (مشكلات الحضارة)، فكانت هذه السلسلة التي بدأها في باريس ثم تتابعت حلقاتها بين مصر والجزائر تخرج بعناوينها الكبرى، سنتعرض لهذه الأعمال حسب تاريخ صدورها :

#### 1/ آثارة المطبوعة :

#### - الظاهرة القرآنية :

صدر سنة 1946م بالجزائر باللغة الفرنسية، قام الدكتور عبد الصبور شاهين بترجمته فيما بعد، وهو عبارة عن مقارنة نظرية حول القرآن الكريم، ويعد ذو طابع علمي قضيته الإيمان في ضوء العلم، و تعرض هذا الكتاب لعملية حرق في صورته المخطوطة في ملابسات وظروف خاصة، ثم أعيد جمع عناصره المتبقية وتأليفه من طرف مالك بن نبي.

#### - رواية لبيك :

رواية صدرت باللغة الفرنسية في الجزائر سنة 1947 م عبارة عن تجربة روحية، قصة تهز في ندائها الصفاء النفسي الذي هو التعبير عن شعور بن نبي الديني وهي بذلك رسالة سامية للوسط السياسي في مرحلة الأربعينيات حيث كانت أوراق الانتخابات تصرف عن الدوافع الروحية للأعمال المباشرة المحددة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مولود عويمر، مرجع سابق ، ص30.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء ، تر: زيدان خليف ، (د . ف)، دمشق- سوريا، ط 1، 2009، ص17.

**- شروط النهضة :**

صدرت سنة 1948م باللغة الفرنسية بالجزائر، وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين، وهو كتاب أحدث شهرة واسعة، أبرز فيه مالك بن نبي مزايا وفضل الحركة الإصلاحية في الجزائر خاصة، وفي العالم الإسلامي عامة، بالإضافة إلى سلبياتها وضعفها ثم رسم معالم الطريق إلى الحضارة المنشودة والشروط الكفيلة بالخروج من الاستعمار والتخلف كما جاء فيه عرض للأعمال التي تمثل الشروط الضرورية اجتماعيا للخروج من الاستعمار والقابلية له<sup>1</sup>.

**- وجهة العالم الإسلامي:**

صدر باللغة الفرنسية بباريس سنة 1954 م، قام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين وهو مستوحى من كتاب شروط النهضة، لكنه يختلف عنه بشموله العالم فهو خطاب في مستوى العالم الإسلامي، يجعل للعالم الإسلامي موقعا في خارطة العالم المعاصر، إنه تحديد للطرق التي يجب سلوكها لتحقيق عالم كلي<sup>2</sup>.

**- الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ :**

صدر بالقاهرة سنة 1956م، يبرز مدى تأثير فكرة عدم الانحياز في مالك بن نبي واعتقاده بأنه بإمكان دول عدم الانحياز تشكيل كتلة عالمية ثالثة هدفها ضمان السلام العالمي . وتكفلت الحكومة المصرية بنشره<sup>3</sup>.

**- النجدة.... الشعب الجزائري يباد:**

عبارة عن نداء وجه مالك بن نبي إلى الحكومة الفرنسية والعالم سنة 1957م ، نبّه فيه إلى الجرائم الشنيعة المرتكبة في الجزائر من طرف الاستعمار الفرنسي، وهو يعتبر إسهاما من مالك بن نبي في الثورة التحريرية، ظهر هذا النداء مطبوعا أول مرة في مذكرات الرائد لخضر بورقعة كملحق<sup>4</sup>، لينشر من جديد في كتاب مالك بن نبي شهادات حول ثورة التحرير الذي ضم أيضا رسالة من أجل مليون من الشهداء<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، إشراف ندوة مالك بن نبي، (د . ف)، دمشق- سوريا ، ط3، 1986، ص7.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر : شاهين عبد الصبور، (د . ف)، دمشق - سوريا، ط1، 1986، ص 9.

<sup>3</sup> مالك بن نبي، الفكرة الآسيوية الإفريقية على ضوء مؤتمر باندونغ، تر : شاهين عبد الصبور، (د . ف)، دمشق - سوريا ، ط3، 2001، ص5.

<sup>4</sup> لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، دار الأمة ، الجزائر ، ط1 ، 1990، ص317 .

<sup>5</sup> مالك بن نبي، شهادات حول ثورة التحرير ، ص15.

**- مشكلة الثقافة :**

صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1959م بالقاهرة، كان الهدف من هذا الكتاب أن يلمّ القارئ بمشكلة الثقافة بجوانبها الكلاسيكية والعناصر المكونة لها، ضم الكتاب خمسة فصول تناولت الثقافة في المفهوم والتركيب النفسي وأيضاً تعايش الثقافات وأزمة الثقافة ونحو ثقافة عالمية، وما ضد الثقافة<sup>1</sup>.

**- فكرة كومونولث إسلامي :**

صدر في القاهرة باللغتين العربية والفرنسية عام 1960م، وقد دعا فيه إلى تنسيق شامل وكلي يخطط للاقتصاد والسياسة في البلاد الإسلامية ، وذلك بعد فشل مؤتمر باندونغ، وذلك بالرجوع إلى المخطط الأول الذي وضعه المشيد الأول لهذه الأمة الإسلامية محمد عليه الصلاة والسلام<sup>2</sup>.

**- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة :**

وهو أول ما كتبه مالك بن نبي باللغة العربية، صدر سنة 1960م، وتعرض فيه الى الوسائل التي يمارسها الاستعمار من أجل الحفاظ على مستعمراته وإدامة وجوده بها، كلّها أساليب يلخصها ابن نبي انطلاقا من تجربته التي عاشها<sup>3</sup>.

**- حديث في البناء الجديد :**

أصدره سنة 1960م في شكل كتيب ثم جعله كفصل في كتاب "تأملات"، وذلك لضرورات منهجية، وهو عبارة عن تأمل في واقع العالم العربي ومتطلبات نهوضه وسبل تحديثه.

**- تأملات :**

صدر سنة 1961م، هو توسعة لما جاء به مالك بن نبي من أفكار في كتابه "حديث في البناء الجديد"، يعالج مشاكل العالم العربي ونقل بلدانه من حالة التخلف إلى مسايرة العالم المتقدم<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ، تر : شاهين عبد الصبور، ( د . ف )، دمشق - سوريا ، ط 1 ، 2005 ، ص139.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، فكرة كومونولث إسلامي، تر : عبد الصبور شاهين ، ( د . ف )، دمشق - سوريا ، ط 3، 2001، ص19.

<sup>3</sup> مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، ( د . ف )، دمشق - سوريا، ( د ط ) ، 1881، ص ص 7-8.

<sup>4</sup> مالك بن نبي، تأملات ، (د.ف)، دمشق - سوريا ، ط 1 ، 2002 ، ص7.

— في مهب المعركة :

وهو عبارة عن مقالات كتبها ونشرها مالك بن نبي في باريس في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات باللغة الفرنسية في صحيفتين جزائريتين هما : الشاب المسلم (بالفرنسية) والجمهورية الجزائرية (بالفرنسية)، وهو عبارة عن إرهابات للثورة الجزائرية، وتصويغا لدوافعها وقد أصدر مالك بن نبي هذا الكتاب في طبعته الأولى بعد لجوئه الى القاهرة عام 1956م<sup>1</sup>.

— ميلاد مجتمع :

صدر سنة 1962م باللغة الفرنسية، وقام بترجمته عبد الصبور شاهين الى اللغة العربية. تحدث فيه عن العناصر التاريخية لتكوين المجتمعات ، فجاء في مقدمة هذا الكتاب أن الهدف المرجو من هذا الكتاب أن تعطى للقارئ العربي والمسلم فرصة التأمل في هذه المرحلة من تاريخ المجتمع، حين يولد أو حين ينهض، وعن صلاح المجتمعات ويتخذ مالك بن نبي القاعدة الإسلامية المعروفة : " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها " شعارا له<sup>2</sup>.

— آفاق جزائرية :

صدر بالجزائر سنة 1964م ، يتضمن ثلاث محاضرات، الأولى تحت عنوان "مشكلة الحضارة" ألقيت باللغة الفرنسية في الجزائر العاصمة سنة 1964م ، والمحاضرة الثانية بعنوان "مشكلة الثقافة" سنة 1964 م في الجزائر العاصمة أيضا وألقاها باللغة العربية في قسنطينة أما المحاضرة الثالثة بعنوان: "مشكلة المفهومية" سنة 1964م باللغة الفرنسية في الجزائر العاصمة<sup>3</sup>.

— مذكرات شاهد القرن :

مذكرات شاهد هي المذكرات الخاصة بمالك بن نبي نقلت إلينا مختلف الأحداث التي عايشها داخل الوطن وخارجه.

صدرت باللغة الفرنسية سنة 1966م، ثم طبعت في الجزائر في جزأين منفصلين الجزء الأول " الطفل " يتناول فيه حياته في الجزائر صدر سنة 1965م، أما الجزء الثاني " الطالب "

<sup>1</sup> مالك بن نبي، في مهب المعركة ، ص ص.10.9.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، تر : شاهين عبد الصبور ، (د.ف)، دمشق- سوريا ، ط3 ، 1985، ص7.

<sup>3</sup> مالك بن نبي، آفاق جزائرية ، تر: الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د ط )، 1991، ص7.

فيتناول الفترة التي عاش فيها في فرنسا صدر سنة 1970م، وقد صدرت طبعة جديدة ضمت الجزئين في كتاب واحد أصدرتها دار الفكر المعاصرة<sup>1</sup>.

**- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث :**

صدر سنة 1969م يتحدث فيه مالك بن نبي عن الاستشراق والآثار السلبية المترتبة عنه وأنواع الاستشراق المادح والتمهجم القديم والمعاصر، وبين أثر المستشرقين المادحين وأثرهم على المسلم<sup>2</sup>.

**- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي :**

صدر سنة 1972 م باللغة الفرنسية، وقام بترجمته كل من بسام بركة و أحمد شعبو. تناول فيه ابن نبي أهمية هذه المشكلة ليس في المجتمع الإسلامي فقط و إنما في أي مجتمع إنساني آخر<sup>3</sup>.

**- المسلم في عالم الاقتصاد :**

صدر ببيروت عام 1972 ويشمل الأسس النظرية للاقتصاد الإسلامي، وأسس النظريات الاقتصادية، ويبين صورة العلاقات الاقتصادية في العالم، بالإضافة الى دور الفكر الإسلامي في مواجهة المشكلات الاقتصادية<sup>4</sup>.

**- مجالس دمشق :**

هو حصيلة لمجموعة من المحاضرات التي ألقاها مالك بن نبي في دمشق أثناء زيارته لها رفقة عائلته سنة 1973، ألقى هذه المحاضرات باللغة العربية، وتحدث في مجملها عن الثقافة والقابلية للاستعمار، وعن دور الشباب في عودة الأمة الى استئناف دورها الحضاري<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن ، ص12.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، دار الإرشاد ، بيروت ، ط1 ، 1969 ، ص7.

<sup>3</sup> مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تر: بسام بركة / أحمد شعبو ، (د.ف)، دمشق- سوريا، ط1، 1988، ص13.

<sup>4</sup> مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد ، (د.ف)، دمشق- سوريا، ط3، 1987، ص 105.

<sup>5</sup> مالك بن نبي، مجالس دمشق ، (د.ف)، دمشق - سوريا ، ط1، 2005، ص ص 14-13.

- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين :

صدر في بيروت 1977م، وهو عبارة عن محاضرتين الأولى " دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين "، والمحاضرة الثانية " رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين "، هاتين المحاضرتين ألقاهما مالك بن نبي باللغة العربية في دمشق الأولى عام 1971م، والثانية عام 1972 م والتي تعتبر وصيته الأخيرة<sup>1</sup>.

- بين الرشاد والتهيه :

كتاب ضم مقالات كتبها مالك بن نبي بالفرنسية نشرت في المجلة الإفريقية، وبعد عودة بن نبي الى الجزائر بعد الاستقلال جمعها سنة 1978م وترجمها الى العربية، تضمن هذا الكتاب أحداث الستينات في الجزائر والعالمين العربي والإسلامي ومشاكل العالم الثالث بعد الاستقلال السياسي، كما تحدث عن الثورة في العصر الحديث، وذكر نماذج عن الثورات المعاصرة وعن نهضة بعض البلدان مثل كوبا واليابان والاتحاد السوفيتي<sup>2</sup>.

- من أجل التغيير :

صدر سنة 1990 م وهو عبارة عن مقالات تناولت أحداث الستينات، في زمن كانت في الجزائر تبني حضورها الدولي بعد زوال فترة الاحتلال الفرنسي<sup>3</sup>.

- القضايا الكبرى :

أصدر بدمشق 1991م يتضمن هذا الكتاب خمسة فصول، الثلاثة الأولى نشرت سنة 1964م باللغة الفرنسية وترجم الى العربية تحت اسم " أفاق جزائرية "، أما الفصل الرابع فترجم الى العربية تحت اسم " الديمقراطية في الإسلام " في سلسلة محاضرات تحت تأملات، أما الفصل الخامس أصدرته دار الفكر دمشق تحت اسم " إنتاج المستشرقين "4.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، (د.ف)، دمشق - سوريا ، ط1، 1997، ص7.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه ، (د.ف)، دمشق - سوريا، ط1، 1978، ص 7.

<sup>3</sup> مالك بن نبي، من أجل التغيير، (د.ف)، دمشق - سوريا ، ط1، 1990، ص 5.

<sup>4</sup> مالك بن نبي، القضايا الكبرى ، (د.ف)، دمشق - سوريا، ط1، 1991 ، ص 7.

- مذكرات العفن :

الذي عرف النور مؤخرا عن منشورات الأمة وترجمه الى العربية نور الدين خندودي كشف من خلاله عن حقائق وقناعات حول مسار الحركة الوطنية الجزائرية في الجزء الأول وآرائه حول بعض شخصياتها أمثال بن باديس و فرحات عباس<sup>1</sup>.

2/ آثاره المخطوطة والمسجلة التي لم تنشر بعد: بالإضافة الى مؤلفاته المطبوعة ترك بن نبي مجموعة من الآثار المخطوطة والمسجلة، لم تنشر بعد نذكر منها :

- 1 - خطاب مفتوح لخرتشفوف وإيزنهاور .
- 2 - دولة مجتمع إسلامي.
- 3 - العلاقات الاجتماعية وأثر الدين فيها.
- 4 - نموذج لمنهج ثوري.
- 5 - وجهة العالم الإسلامي ج2 المشكلة اليهودية.
- 6 - اليهودية أم النصرانية.
- 7 - دراسة حول النصرانية.
- 8 - مجالس التفكير.
- 9 - الإسلام واليابان في المجموعة الأسيوية<sup>2</sup>.

**ثالثا: أهمية مؤلفاته**

أثرت كتب مالك بن نبي على النخبة في العالم الإسلامي أمثال : الطيب الشريف و راشد الغنوشي في تونس، وعبد السلام الهراس في المغرب، جودة سعيد وعمر عبيد حسنة في سوريا، وعمر كامل مسقاوي وفوزية الحسن في لبنان، ومحمد سفر و نور السعد في السعودية وعبد الحليم عويس وسيد الدسوقي حسن في مصر، وعماد الدين في العراق، وعبد اللطيف عبادة و رشيد بن عيسى و عمر طالب والصادق سلام و عبد الرحمان عمارة و نور الدين بوكروح و غيرهم في الجزائر، و في أوروبا أسلمت شخصيات فكرية أوروبية بعد قراءة كتبه ولعل أشهرهم الدكتور " بينو" الذي أسلم وأختار اسم "علي سلمان" بعد أن قرأ كتاب الظاهرة القرآنية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، **مذكرات العفن**، ج1، تر: نور الدين خندودي، دار الأمة ، الجزائر، ط1، 2007، ص 2.

<sup>2</sup> ميلود زكي، موسى إسماعيل، **مرجع سابق** ، ص 33.

<sup>3</sup> مولود عويمر، **مرجع سابق** ، ص 32.

### المبحث الرابع: نظرة مالك بن نبي للاستعمار

#### أولاً : الاستعمار عند مالك بن نبي

يرى مالك بن نبي أن الاستعمار يفرض على حياة الفرد عاملاً سلبياً سمي بالمصطلح الرياضي " المعامل الاستعماري " ، ولذلك المعامل تاريخه في سياسة الاستعمار ، فقد كان القائد الفرنسي " بيجو " وهو في عهد الاحتلال يمثل الصورة المقابلة لصورة الأمير عبد القادر فهو أول فرنسي أدرك حقيقة الشعب الجزائري وما ينطوي عليه من عبقرية فذة، لذلك وضع بمقتضاها سياسة مناسبة لاستقرار الاستعمار<sup>1</sup>.

يعتبر مالك بن نبي الاستعمار من الوجهة التاريخية نكسة في التاريخ الإنساني، وأنه لو بحث عنه أصوله لتبين أن أصوله تعود إلى روما، حيث أخذت المدينة الرومانية طابعها الاستعماري في سجل التاريخ، وقد أعقبها العهد الإسلامي الذي كان في الواقع تجربة من نوع جديد في تاريخ علاقات الشعوب، فنحن لا نرى الحكم الإسلامي قد استعمر بما في هذا المصطلح من معنى مادي منحط، كان فتحه للبلدان كجنوب فرنسا وإسبانيا وأفريقيا الشمالية لا لإستغلالها بل لضمها للحضارة الإسلامية في الشام والعراق، ويرى مالك بن نبي أن المعامل الاستعماري في الواقع يخدع الضعفاء، ويخلق في نفوسهم رهبة ووهماً يشله عن مواجهته بكل قوة، وأن هذا الوهم يثير المستعمرين أنفسهم فيغريهم بالشعوب الضعيفة ويزين لهم احتلالها إذ يحاولون إطفاء نور النهار على الشعوب المتيقظة<sup>2</sup>.

#### ثانياً : القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي

والمقصود بها الهزيمة النفسية التي تصيب المغزول ليصبح قابلاً للاستعمار وتبعاته، وهو معامل داخلي نفسي، وهو المفهوم الأشهر لمالك بن نبي فهو معامل يجعل الفرد يستنبط مفاهيم الاستعمار عنه، ويقبل بالحدود التي رسمها المستعمر لشخصيته ويقبل بالمصطلحات التي تقلل من شأنه، ويأخذ في ترديدها حتى تصبح لها أثراً نفسياً على ذاتية المستعمر ،وليس ذلك

<sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 146.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 151-152.

فحسب بل يدافع عنها، ويكافح ضد إزالتها، فهذا المعامل كما يقول ابن نبي: "ينبعث من باطن الفرد الذي يقبل نفسه تلك الصبغة، والسير في تلك الحدود الضيقة التي رسمها الاستعمار وحدد له فيها حركاته وأفكاره وحياته، فنرى هذا الرجل يقبل اسم "الأهلي" وهذا الاسم أطلقه الإستعمار على الجزائريين، أو أي اسم يطلقه عليه الإستعمار يوم استأهل لكل ما ترمي إليه المقاصد الاستعمارية، من تقليل قيمته من كل ناحية حتى من ناحية اسمه بحيث نأخذ أنفسنا بالمقياس الذي تقيسنا به "إدارة الشؤون الاستعمارية"<sup>1</sup>.

إن مالك يركز على هذا المعامل كثيراً، ويعتبره هو الانتكاسة النفسية للذات المغلوبة أمام الذات الغالبة، حتى تشعر بأن كل ما يقوله ويصفه ويضعه هو الصواب، حتى ولو وصفه المستعمر بأي شيء، فيعتبر في عرف المستعمر صحيحاً يدافع عنه ولذلك يرى مالك أنه لكي نتخلص من الاستعمار الجاثم على قلوبنا علينا أن نتخلص أولاً من القابلية.

ولذلك فهو يرى "أن الشعوب لكي تتحرر من الاستعمار يجب أن تتحرر أولاً من سببه وهو القابلية للاستعمار ولكن مالك لا يري بحتمية القابلية للاستعمار عند وجود كل حالة استعمارية، فقد يوجد استعمار ولا توجد قابلية له فروما لم تستعمر اليونان وإنجلترا التي استعمرت (أربعمائة مليون) من الهنود إذ كانت لديهم القابلية، لم تستعمر أيرلندا الخاضعة دون ما استسلام وفي مقابل ذلك نجد اليمن التي لم تفقد استقلالها للحظة لم تستفد من ذلك الاستقلال أدنى فائدة، لأنها قابلة للاستعمار فمالك يري أن المسألة الاستعمارية هي مسألة نفسية بالأساس، ولذلك هو يطلب من الأفراد و الدول العمل على تصفية الاستعمار من النفس الإنسانية فيقول : (... فتصفية الاستعمار في الإنسان تشرط تصفيته في الأرض ويجب أن تتقدمها).<sup>2</sup>

<sup>1</sup> حسن موسى العقبي ، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة ، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب ، إشراف : صالح حسين الرقب ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2005 ، ص 83.

<sup>2</sup> نفسه ، ص 84.

يتابع مالك بن نبي ذكر مناهج الاستعمار التي وضعها للشعوب المستعمرة، لتتجح خطته، و تتضح هذه القابلية بأن الفرد يقبل اسم " الأهلي " وما يحمله المصطلح من مقاصد استعمارية من تقليل من قيمة شعوب المستعمرات حتى من ناحية أسمائهم ، ومن ملامح هذه القابلية يذكر بن نبي أن المثقفين يطلقون على أنفسهم مصطلح " الأهلي " أي بمعنى أن الفرد انقاد وفقا لما خططت له الإدارة الاستعمارية<sup>1</sup>.

فهدف الاستعمار من هذه القابلية - حسب بن نبي - يريد بطلالة يحصل من ورائها أيد عاملة بثمان بخس، ويريد جهلة ويريد أن يدب الانحطاط الأخلاقي في المستعمرات، يقول مالك بن نبي أن يهود الجزائر لقنونا درسا، بحيث إن اليهود أثناء الحرب الماضية كانوا يعيشون اضطهادا كبيرا، كانت الدوائر الحكومية تحكمهم بقوانين قاسية، في كل ميدان فكان أبنائهم ينبذون من دور التعليم وتجارتهم تعرقلها مختلف القوانين، وكانوا يتعرضون لعوامل تقلل من قيمتهم، أي تقودهم نحو القابلية، هؤلاء اليهود سرعان ما قاموا بردة فعل فكونوا مدارس لأبنائهم في كل بيت تطوع فيها أساتذة منهم الطبيب والمهندس والمحامي للتدريس، وعمروا معابدهم أكثر من ذي قبل و انبعثت حركتهم التجارية نحو النشاط، وساروا على مبدأ الفرد من أجل الجميع والجميع من أجل الفرد، وهكذا تجاوزوا الضغوطات الخارجية المسلطة عليهم وكان نجاحهم انتصار الفرد على البيئة، وبالرجوع الى حالة الجزائر، نجد أن الاستعمار استثمر في الطاقات الاجتماعية، إلا لأنه درس الأوضاع النفسية دراسة عميقة، أدرك بها مواطن الضعف فسخرها كصواريخ يصيب بها من يشاء<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مالك بن نبي ، شروط النهضة، ص 153.

<sup>2</sup> نفسه، ص 154.

تناول هذا الفصل السيرة الذاتية لمالك بن نبي والتي يقول عنها الدكتور عمر كامل مسقاوي عند تطرقه لكتابة السيرة الذاتية لمالك بن نبي، بأنها من أصعب السير التي تطرق إليها لقيمة هذه الشخصية ووزنها الفكري العالمي، فحاولنا من خلال هذا الفصل اعطاء صورة لشخصية هذا المفكر، من حيث النشأة والتكوين وصولا الى نشاطه داخل الوطن وخارجه الى آخر محطات حياته ووفاته، وما خلفه من إنتاج فكري الذي يعد في مجمله طرح لقضايا العالم الإسلامي وحلول مقترحة لمعالجة مشاكله، و قبل الولوج لدراسة الأوضاع العامة في الجزائر التي كتب عنها مالك بن نبي، كان لزاما علينا أن نبرز نظرة مالك بن نبي للاستعمار بصفة عامة، والمصطلح الذي انفرد به مالك بن نبي والذي أثار كثيرا من الجدل مصطلح " القابلية للاستعمار " .